الرّواية ما بعد الكولونياليّة، والأنثى المهمّشة؛ قراءة في رواية "حطب سراييفو".*

The postcolonial novel and the marginalized female; Read in novel "The Firewood of Sarajevo".

أحمد رابطي[1]

مخبر انتماء طالب الدّكتوراه: مناهج النّقد المعاصر وتحليل الخطاب

جامعة محمّد لمين دبّاغين سطيف 02.

ah.rabti@univ-setif2.dz

فتيحة كحلوش[2]

جامعة محمّد لمين دبّاغين سطيف 02 .

fatihakahlouche@gmail.com

تاريخ الإرسال:2023/03/11	تاريخ القبول:2023/05/27	تاريخ النشر:2023/06/17

الملخص :

سعى من خلال دراستنا هذه للتعريف بالتغيير الذي أحدثته مرحلة مابعد الكولونيالية من خلال الرواية الجديدة، اعترافا بالثقافات المهمَّشة كمحمولات ثقافية خصبة تعكس الواقع وتروم لتغييره من خلال الوصف الدقيق له .

ومن هنا جاءت الرّغبة ملحّة للتعريف بتيار ما بعد الكولونياليّة، والتّطرّق لسياستها التّوعوية من خلال دراسة الخطابات الّتي أتاحت لها عالم الولوج كتابة وكشفا، بحثا عن المناداة بصوت الأنا في فضاء الحرّيّة.

* أحمد رابطي

الكلمات المفتاحية: الرواية ما بعد الكولونيالية – الثقافة – المهمَّش – الاغتراب – الانشطار – التّشيّؤ.

Abstract :

We aim through our study to define the change that was caused by the era of post colonialism through the new novel, recognizing that the marginalized cultures as fertile cultural changers that reflect real life and want to change it through precise description of it.

Hence the urgent desire to introduce the post-colonial movement, and to address its awareness-raising policy through the study of the discourses that allowed the world of access in writing and disclosure in search of calling for the voice of the ego in the space of freedom.

Key words : post colonialism novel, culture, marginalized, alienation, fission

مقدمة:

الرّواية جنس أدبيّ تنتجه ذات فردية أو جماعية، تعبّر عن ثقافة معيّنة ضمن بيئة حقيقية أو متخيَّلة، تسعى عبر سطورها لتكشّف قضية أو مجموعة من القضايا التي تعتري الفضاء المجتمعيّ، والتي تكون السلطة ،في أغلب الأزمنة، سببا في منعها مطالباتيا، بحيث تسعى الرواية جاهدة لتبني هذا الدور والمناداة بأصوات الذّوات وحقهم في تللك القضايا باستعمال أسلوب التّمويه لكسر حاجر الرّقابة.

والرّواية مابعد الكولونيالية تختلف عن الرّواية التّقليدية من حيث الشّكل والمضمون، فهي تروم لكشف ثقافة معيّنة سائدة ضمن حيز جغرافي معيّن والدّفاع عنها حد الاستماتة، لتكون بذا حريصة كلّ الحرص على تبليغ رسالة سامية تسمو بالذّوات المهمَّشة لإعلاء صوتها، والمناداة بشرعية مطالبها، على عكس التّقليد الأعمى الذي حرص على رتابة تهتمّ بالمبنى على حساب المعنى والمضمون، ومن هنا نستشفّ أنّ الخاصّية السّامية للرّواية ما بعد الكولونيالية تتبنّى تفكيرا شاملا واسعا يطلق عليه "تفكير الأزمة" للوصول إلى خلاص يحقّق لتلك الذّات وجودا كريما يسمح لها بالولوج لفضاء المماثلة في الحقوق، اشتمالا على جميع مناحي الحياة، وتحقيقا لمطالبها المتعدّدة.

هذا المنطلق يوجب علينا طرح مجموعة من التّساؤلات الّتي تؤثّث لإشكالية بحثنا:

ما المقصود بـــ "مابعد الكولونيالية"؟ وكيف أثّثت للرّواية بمفهومها الجديد؟ هل نجحت الرّواية مابعد الحداثية في قلب موازين الثّقافة انتصارا للشّعبويّة؟ ما مفهوم الاغتراب وكيف يكون سببا في الانشطار والتّشيّؤ؟ لماذا لا تستطيع الأنثى استعادة صوتها بعد الاستلاب الجنسيّ؟

2. ما بعد الكولونياليّة (Postcolonialism)؛ ثورة ضدّ المستعمِر:

لم يشفع الدّمار الّذي لحق بأوربا بعد الحرب العالميّة الثّانية لها أن تلحقها حروب التّحرير الّتي شنّتها المستعمرات ضدّها في مختلف بلدان إفريقيا وآسيا وأمريكا، هذه الحروب كانت بفضل إنجازات عظيمة سبقت مرحلة البعديّة، تعالت ونادت بأصوات الأهالي المقموعة، الّتي لعبت دورا هامّا في إحقاق السّلم المنشود تدريجيّا لبلدانها، وذلك بناء على ثقافة محلّيّه كانت دفينة في نفوسهم، فأخرجوها إلى الواقع كتابة ومطالبة بالحريّة الّتي اقتنعوا أنّها تؤخذ ولا تعطى، ولذلك قاموا بمواجهة الاستعمار بأشكاله المتعدّدة، واشتغلوا على تقويض الخطابات الخاصّة به، و الّتي كانت تقوم في الأساس على اعتبار تلك البلدان تابعة له، لا تستطيع الاستغناء عن خدماته، الأمر الّذي جعله يخضعها له في طابع الاستغلال الّذي حرمها التّعبير عن ذاتها، واستخدامَ قدرتها في إحلال ثقافتها بعيدا عن ثقافته.

ويشير بعض النّقاد إلى أنّ مصطلح "ما بعد الكولونياليّة" لا يرتبط أساسا بفترة ما بعد الاستقلال، بل يغوص في جذور وأعماق تاريخ المستعمرات أثناء احتلالها، ويرتبط بأوّل لقاء لهذه المستعمرات بالآخر/المستعمِر، فهو نوع من "**التّحليل ينطلق من فرضية أنّ الاستعمار التّقليدي قد انتهى، وأنّ مرحلة من الهيمنة قد حلّت، وخلقت ظروفا مختلفة تستدعي تحليلا من نوع معيّن**"[1]. حيث شكّلت في تلك الفترة خطابات مناهضة ومعارضه للكولونياليّة، ثمّ تطّور تدريجيّا في فترة المابعد، ليتجسّد في فضائه المطالباتيّ فجرٌ جديد من التطور، ويكتسب معارف مغايرة/ مناقضة، وأساليب متطوّرة عندما اغترف من نظريات ما بعد الحداثة.

ويعتبر "**فرانز فانون**"الأب الرّوحي لهذا التيار النّقدي، ومن أبرز أقطاب خطابات ما بعد الكولونياليّة، وقد تجسّد ذلك أساسا في كتابه "**جلدة سوداء وأقنعة بيضاء**". حيث انتقد فيه بشدّة العنصريّة الأوروبيّة الّتي بثّتها أقطاب أوربا وسط الشّعوب المستعمَرة، ليدعّم هذا الإصدار بكتاب آخر عنوانه " **المعذّبون في الأرض** "، حمل فيه مشعلا للثّورة، وإعلانا صريحا عن اضمحلال الكولونياليّة وخطاباتها الزّائفة، وكشف الوهميّة / الضّبابيّة الّتي تشوبها ، وقام بتعرية خطابات "الإمبرياليّة" الّتي كانت مناقضة لمبادئ أوروبا الدّاعية إلى احترام الإنسان وتمجيده، وعوضا عن ذلك حاربته وجرّدته من ذاته وإنسانيته

بأبشع الطّرق والوسائل، كما عبر "**فرانز فانون**" عن سخطه على التّبشير الدّيني الّذي كان وسيلة من وسائل الغزو الإمبرياليّ.

3. الجانب التّطبيقيّ:

1.3 تقديم الرّواية:

رواية حطب سراييفو عمل سرديّ ثقافيّ صادر عام 2019م، للرّوائي الجزائري سعيد خطيبي المولود بمدينة "بوسعادة" عام 1984م، حاول من خلال هذا السّرد التخيّلي المواشجة بين الواقع والمتخيّل بهدف تمرير رسالة الوعي بالثّقافة الّتي يعيشها المجتمع المضطهد تحت وطأة الآخر/ المستعمِر الّذي عمل على تغييبه في حدود قبضته، جاعلا منه ينأى إلى النّجاه بجلده دون التّفكير في إنقاذ مجتمعه من وطأة الآلة الحربيّة الّتي جعلها الغرب نتاجا من نتاجات التّطور العلميّ الّذي نادى به إيجابا، ليستعمله من جانبه القمعيّ تغييبا للآخر/ المستضعَف.

يعالج السّارد قصّة الشّاب "سليم الجزائريّ" الّذي قرّر الفرار من الحرب التي شهدتها بلاده، بعد دعوة رسمية من عمّه الّذي اشترى منزلا جديدا في العاصمة السلوفينيّة، ليلتقي بيد "إيفانا" الّتي تقاسمت معه نفس المصير، إذ عايشت من القتل الجماعي الّذي حوّط بأهلها ضمن حربي البوسنة والهرسك في يوغسلافيا سابقا تسعينيات القرن الماضي.

وكان الهدف المنشود من السّارد هو طرق باب الفئات النّاجية من الحربين المتشابهتين علائقيّا، رغم بعد الفضاء الجغرافيّ بين البلدين، كما أراد سرد الثّقافة المهمَّشة الّتى تتوارى في ثنايا الطّبقات المستلَبة.

2.3 "حطب سراييفو" ودلالة العنوان:

يمثّل العنوان قراءة اوّلية للعمل السّرديّ من منطلق أنّه " **بنية لغوية مشحونة الدّلالة، والممثّلة لفكرة النّصّ بقصدية من قبل المرسل، يحكمها سياق قادر على إحداث تواصل مع المرسل إليه**"[2]. وهنا نكتشف الدّلالة القويّة الّتي يحملها عنوان "حطب سراييفو" حيث يشير في مجمله إلى استبدال البشر في "**سراييفو**" بالحطب قياسا على المعاناة الّتي عاشها المجتمع كحتمية للصّراع الدّيني الّذي عايشه، ممّا جعل من السّلطة المتحكّمة في هذا المجتمع تقذف الأفراد كخشب توقد به نار الفتنة لتضمن الاستمرارية لعرشها الطائفيّ.

ومن هنا نكتشف أنّ السّارد يقودنا لقراءة أوّليّة لعمله السّرديّ، محاولة لإغراء القارئ للتّعرّف على الثّورة الأهليّة الّتي عايشتها البوسنة والهرسك تسعينيات القرن الماضي في فضاء الإبادات الجماعية التي جعلت

من المهمَّش آلة تخضع لفعل التّبخيس من خلال استعمالها في غير موضعها لإيقاد نار الصّراعات بين الشّعوب.

3.3 في مفهوم الاغتراب:

يعتبر الاغتراب مصطلحا ضبابيّا من حيث تعريفه، نظرا لتشعّبه في العديد من مناحي الحياة الّتي تكون سببا فيه داخل فضاء جغرافيّ محدّد الأطر زمانيا ومكانيا، وهو في مجمله يحيل إلى حرمان الفرد من حقّه الطّبيعي أو القانوني تهميشا تدريجيّا، ممّا يخلق في ذاته ألما نفسيّا رهيبا يشعره بالأحادية داخل مجتمعه الّذي اعتبره الأسرة الكبرى الّتي يعيش ضمن عاداتها وتقاليدها المنادية بحقوق الإنسان ظاهريّا فقط، غير أنّ الواقع يثبت زيف تلك الشّعارات وتناقضها مع مبادئها المنمّقة بهدف السّيطرة على المجتمعات وضمان الاستمراريّة لسلطتها القمعيّة.

4. أشكال الاغتراب الأنوثيّ في رواية "حطب سراييفو":

1.4 الاغتراب الاجتماعيّ:

يحيل الاغتراب الاجتماعيّ إلى الرفض داخل الأطر الاجتماعية الّتي يعيش داخلها الفرد، مما يؤثر سلبا على حالته ليجد نفسه غريبا عن محيطه، فهو " **شعور الفرد بالانفصال عن المجتمع المحيط به، وإحساسه بالغربة إزاءه، فهو الانسلاخ عن المجتمع والعجز عن التّلاؤم، والإخفاق في التّكيّف مع الأوضاع السّائدة واللّامبالاة وعدم الشّعور بالانتماء**"[3].

وقد تجسّد الاغتراب الاجتماعيّ في رواية "**حطب سراييفو**" من خلال الشّخصية الرّئيسية "إيفانا" وهي النّاجية من حرب "البوسنة والهرسك"، تنتمي إلى "سراييفو" الّتي همّشتها حرب "البلقان" تسعينيات القرن الماضي، أحبّت المسرح لكنّها حرمت منه بنفس درجة حرمانها من الوظائف التي شغلتها، وقد أثّث الاغتراب الأسريّ الّذي عايشته مع والديها بسبب التّنافر الحادّ بينهما، لاغتراب أوسع داخل المجتمع الّذي تعيشه؛ فهو مجتمع يحكم على الأنثى بناء على الحالة الأسريّة الّتي تعيشها من حيث الغنى والمكانة الاجتماعية، و "إيفانا" كانت بعيدة عن التّرف الأسريّ، فوالداها لم يستطيعا سدّ حاجيات إخوتها، ممّا قادها إلى البحث عن عمل تعين به عائلتها، وتستعيد به نفسيتها المحطّمة جرّاء التّهميش الّذي عايشته، وتبلغ القسوة ذروتها حينما يجبر "غوران" البوسني "إيفانا" على التّخلّي عن جنينها في مراحله الأولى من النّموّ، مما جعلها تعيش اغترابا اجتماعيّا قاسيا، لم تكن تؤمن بأن المجتمع الفقير الّذي تعيش في حدوده سيكون سببا فيه، وقد تحقّق هذا الاغتراب بفعل التبخيس الّذي خضعت له، حيث تعتبر المرأة في المجتمعات المتخلفة مجرّد جسد يمثّل نشوة عابرة، ولا يمكن لهذا الاغتراب أن يتحقّق إلا بفعل عاملين:

1. النّظرة الدّونيّة:

وتتمثّل في الطّريقة الّتي تنظر بها المرأة لنفسها، حيث تجعل من جسدها مشيّأً، ينظر إليه الرجل نظرة دونية مقارنة بجسده وأعضائه، كما أن المرأة في ثقافات الشّعوب المتخلّفة تعتبر نفسها،وراثيا، مجرّد آلة تخدم الرّجل وتلبّي حاجياته انصياعا وخضوعا، وقد جعل هذا الفكر العقائديّ من شخصية "إيفانا" جسدا يمثّل متعة عابرة تسلّى بها "غوران" وأخضعها لأقسى أنواع الاستلاب :

" هل هي يد العذراء التي طالما عصيتها! لست أعرف من أنقذني...

لكنني أقر أنني أنا السبب في كل ما حصل لي من مصائب ومحن"[4].

تقول "إيفانا" معترفة بأن التّيه والتّغييب الذّكوريّ الّذي تعايشه كانت سببا فيه نظرتها لنفسها كجسد سخّرته ليخدم نزوات الآخر/الذكوريّ.

2. ضعف الوازع الدّينيّ:

كرّم الدين الإسلامي المرأة، وجعلها في منزلة الشّرف والطّهارة عندما أمرها بسِتر جسدها حماية لنفسها من الطّاغية الذّكوري الّذي يحيط بها في ثنايا المجتمع، غير أنّ المرأة في معظم الأحيان تجعل من نفسها فريسة سهلة يوقعها الآخر/الرّجل في حدود سلطته ليمارس عليها سياسته القهريّة، ويكون السّبب الرّئيسي في ذلك هو الشّعارات الزّائفة الّتي نادت بها الحركات النّسوية الحداثيّة، حينما أطلقت حملات تنادي بحقوق المرأة في الاختلاط بالرّجل ممارسة لحريتها المسلوبة بما سمته بـ"الفهم الخاطئ للدين"، فهذه الدعوات حملت في ظاهرها حرية تسترد بها المرأة حياتها المضطهدة، ولكنها أسّست لاستلاب من نوع آخر يجعل المرأة مجرّد آلة تقتصر وظيفتها في البعد الجنسيّ فقط. والمسيحيّة الكاثوليكيّة الّتي تنتمي إليها "إيفانا" تختلف شعاراتها الحامية للمرأة عن شعارات الإسلام الّذي يفرض حماية مطلقة للمرأة، مقابل المسيحيّة الّتي جعلت منها سببا في شقاء الجنس البشريّ، فأصبحت تتخبّط في فضاء الانتقام الّذي يمارسه الرّجل/المهمّش ضدّها.

2.4 الاغتراب السّياسي:

يتجسّد في حرمان الفرد من حقّه الإيجابيّ في صنع القرار المصيريّ الّذي يخصّ مصالحه الرّاهنة والمستقبليّة، لضمان حقّه في العيش الكريم فيشعر باليأس من المستقبل على "**اعتبار أنّ رأيه لا يسمعه**

أحد"[5]. وتمثّل هذا النّوع في رواية "حطب سراييفو" في حرمان "إيفانا" من الحرّيّة المنشودة الّتي نادت بها شعارات سياسية زائفة، استغلّت أوّل فرصة أتيحت لها لإبادة شعوب بأكملها، " تروي "إيفانا" متحسّرة:

" هذه هي الأسئلة التي لا أحبذّ الحديث فيها...

عن أيّ وضع، وعن أيّ سراييفو؟

لقد اقتسم فريقان ضفّتا ملياتسكا، ورميا الشّعب في الوسط يطفو عاريا ". [6]

فالفقر والحرمان والاعتداءات الجنسيّة كانت نتيجة من نتائج الاستعمال السّلبي للسّلطة ووسائلها القمعيّة الّتي استعملتها للحفاظ على عرشها المزعوم، رغبة في بقاء الحكم، لا رغبة في حماية حقّ الإنسان في الحرّيّة والعيش الكريم، مما يجبر المهمَّش على البحث على أبسط الحقوق ولو بجزء بسيط منها، جاعلا من طموحاته شعارات تخيّلية لا يمكن تحقيقها، تقول إيفانا وهي في مقهى "سي أحمد" عمّ "سليم"، **"حلمت بأن أصير كاتبة مسرحيّة أو ممثّلة وفقط، فوجدت نفسي ،من سراييفو إلى نيويليانا، نادلة"**[7]. وهنا تؤكّد السّاردة أنّ الأوضاع المتدهورة في فضاء الصّراع السياسي في بلدها كان الفاعل الأساسي لتفشّي ظاهرة البطالة، وحرمان الشّباب من فرص الشّغل بمؤهلاتهم العلميّة.

3.4 الاغتراب النّفسيّ:

هو حالة شعورية تنتاب الفرد تقوده نحو الضّياع، والابتعاد عن عالم الحقيقة إلى فضاء شعوريّ آخر يجعله **"يفقد الإحساس بذاته باعتباره كلّا عضويّا"**[8]. ويعتبر نتيجة لمتتاليات فقدها الفرد في حياته، تؤسّس لأنّ يجد نفسه غريبا رغم بقائه في مجتمعه، فتنفصل ذاته **"عن ذاتها لتغترب عنها كآخر"**[9]. وشكّل الاغتراب النّفسيّ حيّزا سرديّا هامّا في الرّواية حينما آمنت "إيفانا" يقينا أنّ طموحاتها الّتي حاصرت ذهنيتها يوما ما أصبحت مستحيلة التّحقّق، وقد بدا أوّل تشكّل لهذا النّوع من الاغتراب في منزل "إيفانا"، فوالدها الّذي يمثّل حامي الأسرة وسندها مارس على والدتها أقسى أنواع الاستلاب مما أثر على نفسيتها، وجعلها تتأكّد أنّه مجرّد كائن بشريّ يحافظ على وظيفة بيولوجية وهي الرّغبة في الحياة، لتصطدم بممارسات من طرف شخوص بشريّة أخرى ظنّت أنّها السّند الّذي تحتكم إليه عندما فشل والدها في تحقيق الإشباع النّفسي لها ولوالدتها، حيث لجأت إلى بوريس، لتعوّض الأبوّة برجل يعيد لها جزءا من حقّها المسلوب، وهنا تناشد الرّواية "**رفض الثّقافة السّائدة والتّمسّك بالثّقافة المضادّة الّتي تعبّر عن توق الإنسان للتّحرّر من كلّ أشكال الخضوع والقهر"**[10].

تستذكر السّاردة:

" بوريس طلب منّي أن أقرضه مالا لحاجة تخصّه.

فهو لا يقدّم خدمة دون مقابل. يسلبني في جسدي.

ويريد خطف ما في جيبي "[11].

لتصطدم بـ "غوران" الّذي مارس عليها أقسى أنواع الاستلاب، عندما قام بتشييئها في حدود سلطته، جاعلا منها وعاء لإشباع غريزته، والتّخلّص منها بعدم الاعتراف بابنه، دافعا إيّاها لإجهاضه والتّخلي عن سند نفسي آخر كان ربّما يعيد لها نفسيتها المفقودة، تسرد "إيفانا":

"نجوت من الموت وخرجت من حبس، ظننت أنّني سأمكث فيه سنوات طوال.

أزهقت روحا، والتحقت بالقتلة، ثمّ تعثّرت.

وتخيّلت أنني لن أقف على رجليّ من جديد"[12].

لم يتوقّف العنف النّفسي ضدّ "إيفانا" في هذه الحدود، بل تعدّاه إلى "سليم" الصّحفيّ الجزائريّ الّذي هاجر بلده في زيارة لعمّه "سي أحمد" في العاصمة السّلوفينيّة "ليوبليانا"، جاعلا من نادلة عمّه تسترجع أملا في أن يكون حبيبها المنشود، غير أنّه لم يعرها أيّ اهتمام يجعلها تبدي له مكنوناتها النفسية الدّفينة تجاهه.

والمخطّط الآتي يلخّص الشّخصيات المهمّشة التي أثّثت للاغتراب النّفسيّ باعتباره أقسى الأنواع استلابا:

الأب + غوران + بوريس + سي أحمد + سليم = الاغتراب النّفسيّ (ضدّ إيفانا).

4. من الاغتراب النّفسيّ إلى الانشطار:

الانشطار هو انفصال الذّات عن عالمها الدّاخلي، وتشتّت الشّعور به، حيث تعلن **"أقسام من الشّخصية عن حالة طلاقها عن بعضها البعض، محطّمة العلائق فيما بينها"[13]**. ومن هنا تصبح الذّات مجموعة من الذّوات المنفصلة عن بعضها البعض، متصارعة بين الأفكار والرّغبات، والعادات والتّقاليد الّتي تجعل من الشّخصية الأساسية كائنا ميّتا، لا يمكن أن تعود الصّلة والعلاقة التّكاملية بين تركيباته الجزئيّة، فتضيع في حدود التّفكّك والانشطار باحثة عن سبيل أنجع للخلاص من الشّخصية السّابقة، تروي "إيفانا":

"في اليوم الموالي من تلك اللّيلة الّتي تنازلت فيها عن جسدي لصاحب المقهى الوقح...

دخلت مطعما تركيّا صغيرا، قرب محطّة الحافلات، واستقبلتني نادلة نحيفة...

ممشوقة القدّ، وتمشي بثقة في النّفس...

ولا أنكر أنّني غرت منها...

أعلمتني أنّ اسمها "لوتسيا"، وتطلّعت إلى نحافتها الّتي زادتها بهاء...

عكس جسدي المترهّل الّذي كلّما نظرت إليه، زدت تنكّرا لنفسي"[14].

وفي هذا الموضع نجد الذّات في بحث عن وعاء آخر، تتأثّر به، وتسمو أن تتقمّصه ليعيد لها جزءا من كينونتها المنشطرة، حيث عبّرت السّاردة عن غيرتها من الآخر/النّادلة، ذاكرة مواصفاته التي تتنكر من خلالها لجسدها الّذي لم يصبح العقل،وهو جزء منه، يتقبّله كوعاء ينضوي ضمنه.

5. مابعد الانشطار/ حتمية التشظّي:

لا يمكن للذّات المهمَّشة في هذه المرحلة أن تستعيد ذاتها الأصليّة/حالتها الأولى لمجموعة من الأسباب في تخوم المجتمع الّذي تعيش في فضائه ؛ فالأنثى بعد أن تفقد جزءا من جسدها يمقتها المجتمع، بعد الأسرة الّتي كانت تعيش داخلها، ولا أساس من عودتها لتلك المكانة استنادا إلى ماضيها وتجاربها، فهي تجاوزت حدود الأسرة، وتعاليم الدّين والعرف، اتخضع للرفض المطلق ممّا يجعل منها شبيهة بالكائن الورقيّ الّذي تحرّكه الأيدي حيثما تشاء تخلّصا منه، فهي في الأساس كانت تملك سلاحا تستطيع التّحكّم فيه للسّيطرة على الذّكر، دون أن تمنحه جسدها فيصبح طاغية في نظرها، يعرّضها للاستلاب الجنسيّ، والتّكميم فتصبح في حدود التّشظّي والتشتّت، وفي غياهب النّسيان، تقول السّاردة:

" رغبت في البكاء.

لا عمل لي أفضل من العودة إلى المسرح.

إلى التّمثيل فوق الرّكح على ظهري، وإغماض عينيّ، قبل بداية كلّ عرض، لكن طرق العودة تشتّتت.

وإذا قدّر لي ووجدت وظيفة أخرى، لن تكون سوى نادلة، خادمة، خانعة.

مسلوبة الصّوت والحقّ في الرّدّ"[15].

وهنا تكون الذّات قد بلغت أقصى حدود الانشطار، فهي لم تعد تستطيع الجمع بين التّفكير، والموقف الّذي تتّخذه، وبهذا تعكس صرخة الأنثى في فضاء الشّعوب المهمَّشة الّتي لا تستطيع النّداء بصوتها، خاصّة بعد استلاب جسدها.

6. خاتمة:

يمكننا أن نخلص إلى مجموعة من النّتائج، نوجزها في العناصر الآتية:

- مابعد الكولونياليّة شكلت منعرجا جذريّا في الرّواية مابعد الحداثية، حيث نقلت النّظرة الضّيّقة الّتي كانت تنظر للسّرد من جانبه الجماليّ، لتحيله إلى ثقافة مهمَّشة، متجذّرة في الواقع كشفا وتحليلا.
- الرّواية مابعد الكولونياليّة سرد للمفارقات والهوة الّتي أحدثتها السّلطة، وحرمت الفئات الهشّة من التّعبير عن رأيها، وإبداء ثقافتها.
- تفكير الأنثى تجاه جسدها تفكيرا دونيا مقارنة بالآخر/ الرجل يجعلها مستلبة في حدود سلطته.
- الاغتراب نتيجة من نتائج السلطة الفوقيّة الّتي مارست سياسة الاضطهاد على الفئات الضّعيفة.
- الانشطار حالة يحسّها الفرد المهمَّش فتجعل منه متفكّك التّركيبة بسبب الاغتراب الّذي عاشه في بيئة معيّنة.
- التّشيّؤ شعور قيميّ، تفقد الذّات فيه كلّ ماله رغبة في الاستمراريّة.
- رواية "حطب سراييفو" سرد ثقافيّ جديد، يعكس الواقع الّذي فرضته السّلطة القمعيّة على الشّعوب المستعمرة، وغيّبتها في فضاء الاستغلال بكلّ مناحية.

7. قائمة المراجع :

1- إدريس الخضراوي، 2017، سرديات الأمة، تخييل التاريخ وثقافة الذاكرة في الرواية المغربية المعاصرة، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1.

2- إقبال محمد رشيد صالح الحمداني:2011، الاغتراب- التمرّد قلق المستقبل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.

3- حكيم أومقران ،2005، البحث عن الذات في الرواية الجزائرية، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1.

4- سعد البازغي، ميجان الرويلي، 2000، دليل الناقد الأدبي، المركز الثّقافي العربيّ، بيروت، لبنان، ط2 .

5- سعيد خطيبي: حطب سراييفو، 2019، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 .

6- صلاح الدين أحمد الجماعي: 2010، الاغتراب النفسي الاجتماعي، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 .

7- عبد اللطيف محمد خليفة: 2002، دراسات في سيكولوجية الاغتراب،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط .

8- مراد وهبة:1979، المعجم الفلسفيّ، دار الثّقافة الجديدة، القاهرة، ط3 .

الإحالات :

[1] سعد البازغي، ميجان الرويلي، دليل النّاقد الأدبي، المركز الثّقافي العربيّ، بيروت، لبنان، ط2، 2000، ص 92.

[2] عامر جميل، العنوان والاستهلال، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012، ص31.

[3] إقبال محمد رشيد صالح الحمداني، الاغتراب- التمرّد قلق المستقبل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011، ص 136.

[4] سعيد خطيبي، حطب سراييفو، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2019، ص20.

[5] عبد اللّطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2002، ص97.

[6] الرواية، ص120.

[7] الرّواية، ص 108.

[8] صلاح الدين أحمد الجماعي، الاغتراب النفسي الاجتماعي، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص58.

[9] مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار الثقافة الجديدة، ط3، القاهرة، 1979، ص36.

[10] إدريس الخضراوي، سرديات الأمة، تخييل التاريخ وثقافة الذاكرة في الرواية المغربية المعاصرة، إفريقيا الشرق، المغرب، ط (1) ، 2017، ص 262.

[11] الرواية، ص37.

[12] الرواية، ص20.

[13] حكيم أومقران، البحث عن الذات في الرواية الجزائرية، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2005، ص95.

[14] الرواية، ص134-135.

[15] الرواية، ص 184.